انه تجميد لكل نضال من اجل الوحدة ، او لكل نضال طبقي ضد الطبقات المضادة للثورة » . (ص ٤٣) .

*

هنالك اخيرا جملة من الملاحظات المنهجية والسياسية يبديها منير شفيق حول مواضيع مختلفة ليس بالامكان ادراجها تحت عنوان واحد ، او حصرها وذكرها جميعا . لذا سنكتفي بالاشارة الى بعضها في حين نوسع البعض الاخر .

يكشف منير شفيق انتقائية الدكتور صادق ومنهجه غير الجدلي . ولهذا وجهان : الاول ، طريقة تقديم الاستشهادات . ويبين منير شفيق « تقنية » الدكتور صادق الطريفة في انتزاع الفقرات من سياقها ، واسقاط ما يود اسقاطه منها ، واعادة تلصيق بعض الجمل ، ووضع عبارات قبل اخرى على عكس ما جاء في النص الاصلي الخ الخ ... والثاني ، عزل هذه الفقرات عن زمنها ومكانها ، اي عن الواقع والمرحلة والقوى والجماهير ، وتقديمها « كمادة فكرية » للنقاش المجرد . فالدكتور صادق ، كمثقف معزول عن الجماهير وحركتها ، يتعامل مع « المقولات » والافكار والاطروحات دون التعامل مع « الواقع الملموس » و « النتائج العملية » . وهكذا فهو عندما يناقش مثلا الفرق بين الحرب الخاطفة وحرب الشعب كما « فهمته » فتح ، يغرق في نقاش بعض الاقوال والكتابات ليبرهن انها نابعة من العقلية البورجوازية الصغيرة . فالامر سيان ، حرب خاطفة ام حرب شعب ، طالما ان البورجوازية الصغيرة هي واحدة !! غير ان الدكتور صادق ينسى بصورة تامة كل ما انتجه هذا الفرق على ارض الواقع : تسليح الجماهير ، وتنظيمها ، وامتلاكها لقضيتها ، وهذا ما لم تكن لتفعله « البورجوازية الصغيرة » المتشدقة بالحرب النظامية والحرب الالكترونية في حين فعلته « البورجوازية الصغيرة » الاخرى طائعة مختارة . ان الدكتور صادق ، اذ يتعامل مع الثورة على هذا الشكل ، يذكرنا بالمستشرقين الذين يفهمون الواقع العربي من خلال النصوص والكتب والوثائق . غير ان هذا لن يؤدي به الا الى استكمال سلسلة انتقاداته « للافكار » بدءا « بالنقد الذاتي بعد الهزيمة » ، مرورا « بنقد الفكر الديني » ، وصولا الى « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » . غير انه ينتقد الى حد ادنى من الموضوعية نجده عند بعض هؤلاء المستشرقين . فهو يرى ان « فتح هي المسؤولة الوحيدة دون المنظمات الاخرى ، لانها هي التي حددت مسار الكفاح الفلسطيني المسلح والنتائج السيئة التي وصل اليها » . غير انه عندما يتعلق الامر بمنجزات الثورة التي كان الدكتور يقيمها تقييما عاليا كما سنرى فانه ينسحب بهدوء رافضا الاعتراف لفتح باي فضل . وهو ، بغية انتقاد فتح ، يسخف مسألة اطلاق النار عبر كل الحدود الذي بدأته فتح ، غير انه كي ينتقدها مرة اخرى ، يهاجمها لانها اوقفت اطلاق النار عبر الحدود اللبنانية . انها ، مرة اخرى ، الانتقائية المحكومة بالعداء لفتح ، فتح « العاجزة » عن الارتفاع الى مستوى وعي الدكاترة !!

يجسد الدكتور صادق مثال المثقفين الهامشيين الذين يتلقفون الثورة عندما تكون ساعدة مهاجمة ، ويشرعون في نعيها اذا ما هزمت في معركة اوعرفت تراجعا او انحسارا . وللدكتور صادق في هذا المجال مواقف مشهورة اتى منير شفيق على ذكرها في كتابه . فالدكتور الذي يتهم فتح بتضخيم منجزاتها — على طريقة الانظمة العربية — يستند في ذلك الى نصوص لقادة فتح تتحدث عن انجازات الثورة . ويتناسى كتاباته ضد هيكل وغيره ، هذه الكتابات التي تعتبر حركة المقاومة « طليعة لثورة عربية شاملة ، وبداية لحرب تحرير شعبية ينتقل عبرها الوطن العربي من حال الى حال » ، « شكلت حركة المقاومة بداية مرحلة جديدة ومتقدمة في حركة الثورة العربية » الخ الخ ... فأين هذه التفاؤلية الكاذبة التي يتهم قادة فتح بالوقوع فيها ؟ ولو سلمنا انه لم يقل ما قاله في تقييم الثورة ، وان وجهة نظره كانت « واقعية » في رؤية الثورة كما هي ، الا يصبح غريبا اصراره على دعوة المقاومة لاسقاط الملك حسين ونظامه ؟! أليس من المغامرة دعوة حركة المقاومة ، وهي على ما هي عليه ، الى اخذ المبادرة ضد النظام ؟ ان ما يقوم به الدكتور صادق في الوقت نفسه هو : التخلي عن مواقفه السابقة ، وانتقاد مواقف الاخرين السابقة ، ودعوة المقاومة لممارسة منطلقة من مواقفه السابقة التي ينتقدها .

واخيرا يسلط منير شفيق ، في خاتمة كتابه ،